مـحَـوْتُ بـذكـرِي فـي الـوَرَى ذكـرَ مـن مـضـى
وَسُـدْتُ فَـلا زَيْـدٌ يُـقَـالُ وَلا عـمـرُو[١]

كأس مدام محفوف بالدرر

يذكر شدة شوقه إلى عبلة، وهو يومئذٍ في العراق عند المنذر بن ماء السماء اللخمي:

[المنسرح]

بَـرْدُ نَـسـيـمِ الـحِـجَـازِ فـي الـسَّـحَـرِ،
إذا أتَـانـي بـرِيـحِـهِ الـعَـطِـرِ[٢]
أَلَـذُّ عِـنْـدِي مـمّـا حَـوَتْـهُ يَـدِي
مِـنَ الـلآلـي وَالـمَـالِ وَالـبِـدَرِ[٣]
وَمُـلْـكُ كِـسْـرَى لا أشْـتَـهِـيـهِ إذا
مـا غـابَ وَجْـهُ الـحَـبـيـبِ عَـنْ نَـظَـرِي[٤]

= المرء يُقدّر بما يقدّم من جليل الأعمال لبني جلدته؛ وهو خلقه سليم لا تشوبه شائبة، وهو سبب غنى بني قومه.

(١) إن الشاعر استطاع بفضل أعماله العظيمة أن يذيع صيته بين الناس ويسود بمآثره العظيمة، حتى أمكنه أن ينسيهم فضائل غيره من الناس.

(٢)، (٣) يرى الشاعر أن برد نسيم الحجاز العطر بريحه أشدّ أثراً في النفس من اللآلئ والأموال وما حوته الأكياس من دراهم لديه.

(٤) وكذلك فإنه لا يتمنّى ملك بلاد فارس وما حوته من أبهة وعظمة في حال غياب حبيبته عن ناظريه.

سَقَى الخِيامَ التي نُصِبْنَ عَلى
شَرَبّةِ الأُنْسِ وَابلُ المَطَرِ (١)
مَنازِلٌ تَطْلُعُ البُدُورُ بها
مُبَرْقَعَاتٍ بظُلْمَةِ الشَّعَرِ (٢)
بِيضٌ وَسُمْرٌ تَحْمي مَضَارِبَها
أَسَادُ غابٍ بالبيضِ وَالسُّمُرِ (٣)
صَادَتْ فُؤادِي مِنْهُنّ جَارِيَةٌ،
مَكْحُولَةُ المُقْلَتَينِ بالحَوَرِ (٤)
تُرِيكَ مِنْ ثَغْرِهَا إذا ابْتَسَمَتْ
كَأسَ مُدَامٍ قَدْ حُفّ بالدُّرَرِ (٥)
أعارَتِ الظّبيَ سِحْرَ مُقْلَتِها،
وَباتَ لَيْثُ الشّرَى عَلى حَذَرِ (٦)

(١)، (٢) يتمنّى الشاعر لتلك الخيام المتناثرة على بطاح شربَّة الأنس أن تُمطر مطراً سحّاً وغيثاً لطيفاً؛ إنها منازل فتيات ينشقّ عنهن طلعة البدور جمالاً وأنساً ورقّة، ويشفّ عن وجوههن شعر أسود، فتلتقي فيهن الظلمة وإشراقة الضوء.

(٣)، (٤) المضارب: الخيام. هنّ بين سُمر وبيضاوات مصونات يعمل على حمايتهن شجعان كأنهم أسود الغاب بأيديهم سيوف صارمة ورماح سمراء؛ واحدة من بينهن صوّبت سهام لحاظها الحوراء إلى قلب الشاعر فأصابت قلباً وقع أسيرها.

(٥) ابتساماتها ساحرة، تكشف عن ثغر بديع يُرشف منه خمرة لذيذة الطعم، وتكشف عن أسنان لؤلؤية رُصّعت بيد فنان عبقريّ.

(٦) الشرى: موضع تكثر فيه الأسود. الغزل رمز الرقّة والوداعة والجمال استعار منها سحر نظراتها ممّا جعل الآساد على حذر مخافة الوقوع في شراك حبالها.

خَـــوْدٌ رَدَاحٌ هَـــيْـــفَـــاءُ فَـــاتِـــنَـــةٌ،
تُـخْـجِـلُ بـالـحُـسْـنِ بَـهْـجَـةَ الـقَـمَـرِ[١]
يـا عَـبْـلَ! نـارُ الـغـرَام فـي كَـبـدي،
تَـــرْمـــي فُـــؤادِي بـــأسْـــهُـــمِ الـــشَّـــرَرِ[٢]
يـا عَـبْـلَ! لَـوْلا الـخَـيـالُ يَـطْـرُقُـنـي
قَـضَـيْـتُ لَـيْـلـي بـالـنَّـوْحِ وَالـسَّـهَـرِ[٣]
يـا عَـبْـلَ! كَـمْ فِـتْـنَـةٍ بُـلـيـتُ بـهـا،
وَخُـضْـتُـهـا بـالـمُـهَـنَّـدِ الـذَّكَـرِ[٤]
وَالـخَـيْـلُ سُـودُ الـوُجُـوهِ كـالـحـةٌ،
تَـخُـوضُ بَـحْـرَ الـهَـلاكِ وَالـخَـطَـرِ[٥]
أُدَافِـعُ الـحـادِثـاتِ فـيـكِ، وَلا
أُطـيـقُ دَفْـعَ الـقَـضَـاءِ وَالـقَـدَرِ[٦]

(١) إنها فتاة في مقتبل العمر، مرهفة، ذات أوراك نحيلة الخصر، رشيقة القدّ، تسبي من يقع أسير حبّها، حتى القمر لا ينجو من رؤيتها وتتهاوى قواه لدى رؤيتها.
(٢) يخاطب الشاعر عبلة، فالحبّ استحوذ على جوارحه، وناره تتّقد في قلبه وشررها يشعّ في قلبه بعذابه اللذيذ.
(٣) ويخبرها أن ما يحمله على النوم طيف خيالها ولولا ذلك لقضى ليله ساهراً تتساوره الهموم ويُؤلمه الأرق.
(٤)، (٥) ويُطلعها على تخطّيه المصائب وانتصاره عليها رغم كثرتها، وهو يخوضها ويسبح في غمارها وبيده سيف صلب لا يلتوي ولا ينهزم، حيث تبدو الخيول عابسة كالحة الوجوه في ساحة الموت والأخطار.
(٦) إنه يرغب في رضاها لذا يواجه الأخطار ولا يبالي، وهو يؤمن أن القضاء والقدر لا يردّهما مخلوق، فالمرء عليه أن يستسلم لإرادتهما.